

حين يكون المؤلف هو الراوي

في جوهر الكتابة، توجد علاقة خاصة تتجاوز مجرد نقل الأحداث: عندما يكون المؤلف هو نفسه الراوي. هنا لا يقف الكاتب على مسافة منفصلة عما يكتبه، بل يندمج فيه، ويحكي الحكاية من عمق وعيه وتجربته الخاصة.

يستخدم ضمير «أنا» ليس كأداة لغوية فحسب، بل كجسر يربط بين العالم الداخلي للكاتب والعالم الذي يصوغه بالكلمات. فما نقرأه هنا ليس مجرد وقائع، بل هو رؤية ذاتية، ورؤية واحدة محدودة لكنها حقيقة، تعكس إدراك الكاتب للحياة، وكيف فسر ما مرَّ به أو شاهده.

في هذا النمط، ندرك أن الحقيقة لا تُعطى بشكل مطلق، بل تُروى من زاوية نظر محددة. الراوي لا يدعي امتلاك المعرفة الكلية، بل يقدم ما وصل إليه عقله وشعوره، تاركًا للقارئ فرصة الاقتراب من تجربة إنسانية حقيقية، حيث تتداخل الذات مع الموضوع، ويصبح السرد مرآة تعكس جوهر الوجود والتجربة.

من زاوية أعمق؛ هنا تتحول الكتابة إلى فعل اكتشاف ذاتي قبل أن تكون فعل إخبار للآخر. فبينما يروي المؤلف ما جرى، هو في الحقيقة يعيد فهم نفسه، ويرتب ما تشتت من معانٍ في ذاكرته ووجدانه. فالكلمات لا تنقل الأحداث فحسب، بل تعيد تشكيلها وفتحًا لما نضج في وعي الكاتب مع مرور الوقت.

كما أن هذا الأسلوب يذكرنا بحقيقة جوهرية: لا توجد حكاية واحدة مطلقة، بل هناك دائمًا «حكاية الراوي». وما يصل إلينا ليس العالم في حد ذاته، بل صورة العالم كما رآه العقل بشري، له حدوده، ومشاعره، وقيمه، مما يجعل كل نص من هذا النوع شهادة حية على خصوصية التجربة الإنسانية.

نجد هذا الأسلوب في أعمق ما كُتب من مذكرات وتأملات، لأنه يذكرنا دائمًا بأن كل قصة تحمل في طياتها مشاعر صاحبها، وأن الكلام الحقيقي هو في النهاية حكاية عن إنسان يرى العالم بعينه هو، ويحاول أن يفهمه ليفهم ذاته أولًا.